عرض كتاب

((قراءة في كتاب : د. علي عفيفي علي غازي، نخيل الخليج العربي في دليل لوريمر))

عرض: أ.م.د سمير عبد الرسول / مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية / الجامعة المستنصرية

المؤلف: أ.د. عبد العزيز عبد الغني ابراهيم
الجهة الناشرة: OPUS PUPLISHERS (London- Ontario، دار الرافدين، بيروت، الطبعة الأولى: 2015 م.
عدد الصفحات: 383 ص

تقديم.

أورد المؤرخ المعروف أ.د. عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، وهو من ابرز الأكاديمين العرب المختصين بتاريخ الخليج العربي الحديث ، مقدمة علمية ضافية للكتاب، نوه من خلالها بتفرده وريادته في مضمار البحث العلمي التاريخي، إذ يعتبر كتاب دليل الخليج العربي، وعنوانه الاصلي (**Gazetteer of the Arabic Gulf, Oman and Central Arabia** "دليل الخليج وعمان ووسط الجزيرة العربية"، للضابط وموظف حكومة الهند البريطانية جون غوردون لوريمر **John Gordon Lorimer** (14 حزيران 1870- 8 شباط 1914)، من أهم المصادر لدراسة تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية، لأكثر من 4 قرون ، تبدأ من بواكير الوجود البريطاني في الخليج العربي عام 1507، وحتى بدايات القرن العشرين، حيث أُنجز الكتاب؛ كما يتألف *دليل الخليج* مما يقارب 6000 صفحة موزعة على 6 مجلّدات. وهي في قسمين رئيسيين: القسم التاريخي، وهو الأكبر ويشغل 4 مجلّدات، حيث اكتمل العمل به عقب وفاة لوريمر(1915)، والقسم الجغرافي والإحصائي ويقع في مجلّدين (1908)، في حين لاتقتصر أهمية الكتاب على الجوانب الجغرافية فقط، بل إن له اهمية سياسية وأقتصادية

واجتماعية، وفي دراسة القبائل وتاريخها وأنسابها، كذلك يوضح بعض الظواهر التاريخية والجغرافية والاجتماعية.

نُشرت العديد من الكتب و الدراسات التي استخلصت مواد تتعلق بمناطق جغرافية بعينها في الخليج العربي، كقطر، والإمارات، وعربستان، والكويت، والقبائل العربية. ولكن لم تقم دراسة، حتى صدور هذا الكتاب، على دليل الخليج العربي نفسه، تحلل وتستخرج من بين ثناياه مادة تتعلق بموضوعات تاريخية أو جغرافية أو أجتماعية أو غير ذلك.

لهذا يُعد هذا الكتاب الذي بين أيدينا أول مرجع من هذه النوعية التي تسعى لاستقراء دليل الخليج العربي من زاوية جديدة مُغايرة، كما انه أول كتاب يضم دراسة في تمهيده توضح أهمية دليل الخليج العربي وتَبين أسباب النقد الموجه له، ذلك مادفع الناشر الى اصداره باللغتين العربية (بيروت) والانكليزية (المملكة المتحدة وكندا)، لكي تطلع عليه أكبر شريحة ممكنة من القراء، وإن شاء الله يمثل إضافة متميزة للمكتبة التاريخية العربية.

يتألف الكتاب من مقدمة (ص 13-54) تناولت التعريف بلوريمر مؤلف الكتاب، ثم المصادر التي استقى منها مادته، وترجمات الدليل للغة العربية، والنقد الموجه لهذه الترجمات، وتطرق لقسمي الكتاب: التاريخي والجغرافي تحليلاً، ونقداً، ثم 9 فصول وفق التقسيمات السياسية المعاصرة لمنطقة الخليج العربي، على النحو التالي:-

الفصل الأول: النخيل في الامارات العربية المتحدة ص55- 71 .

الفصل الثاني: النخيل في البحرين ص73- 92 .

الفصل الثالث: النخيل في قطر ص93- 103 .

الفصل الرابع: النخيل في الكويت ص 105- 118 .

الفصل الخامس: النخيل في سلطنة عمان ص 119- 177 .

الفصل السادس: النخيل في السعودية ص 179- 233 .

الفصل السابع: النخيل في العراق ص 235- 284 .

الفصل الثامن: النخيل في عربستان ص285 - 305 .

الفصل التاسع : النخيل في الساحل الايراني ص 307- 362 .

ينتهي الكتاب بقائمة المصادر والمراجع (ص363- 382)، وهي قائمة شاملة تضم نخبة من المصادر العلمية، تراوحت مابين المصادر العربية والمعربة (ص363-376)؛ ومقالات في دوريات(ص376- 381)، والمصادر باللغات الاجنبية (ص381-382)، مايؤشر بوضوح على حجم الجهد المبذول من قبل المؤلف في البحث والاستقصاء للوصول الى المادة البحثية اللازمة، لخروج هذا الكتاب بحُلته التاريخية المميزة، كذلك تؤمن الارضية العلمية المناسبة للباحثين والقراء المهتمين بمتابعة الموضوع، وفي الختام سنحاول في هذا العرض الموجز التطرق لما يُخص دولة الامارات العربية المتحدة بالتحديد

عرض المحتويات.

النخلة تلك الشجرة الطيبة المباركة، العريقة، ثابتة الجذور، ذات الاصل الثابت، والفرع في السماء،المتوجة على كل الاشجار، رمز الاباء العربي، والأصالة العربية ، اسطورة الأجيال، فهي الشجرة المقدسة التي ارتبطت بالأنسان العربي، لذا يعزز الاسلام من مكانة النخلة من الناحيتين الاجتماعية والدينية لكونها مصدر مهم للمأوى والغذاء والرزق، ورد ذكرها في القرآن الكريم تحت اسماء(نخيل، جذع، طلع، نقير، لينة، تذليل، قطف، رطب،

عرجون، إعجاز، قمطير، أكمام)، في أكثر من 20 آية، تعود ل18 سورة، تبين اهميتها وثمرها وتعزز من قيمتها، كما تؤكد السنة النبوية الشريفة على عظمة ومكانة النخلة، فجاء ذكرها في أكثر من 300 حديث قدسي للرسول الاكرم (ص)، منها" ليس من الشجر أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم أبنة عمران"، و " اكرموا عمتكم النخلة فإنها خُلقت من الطين الذي خلق منه آدم".

لقد ارتبطت النخلة ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الامارات منذ القدم، فقد عُرفت زراعة النخيل فيها منذ زمن بعيد، بل إنها من أقدم اشجار الفاكهة التي عرفها الانسان في الدولة، رغم صعوبة تحديد الفترة الزمنية، وعلى مر السنين لعبت النخيل دور مهم في اقتصاد البلاد بمرحلة ماقبل النفط، حيث تدل الدراسات على أن واحاتها عرفت نشاطاً اقتصادياً ضخماً، عبر شبكة متطورة من الأفلاج لري البساتين، واشتهرت تجارة التمورالتبادلية، مع قبائل وسط وشرق الجزيرة العربية، بل تعدى الأمر الى تصديره الى الهند.

لايوجد محصول زراعي أرتبط بحياة الإماراتيين كما ارتبط نخيل التمر، فنستطيع القول إن النخيل والابل لعبا دور مهم في غذاء وحياة وبيئة أهل الامارات ، ولايعتبر النخيل مصدر للغذاء فحسب، بل إنه يدخل في صناعة العديد من المنتجات اللازمة للإنتاج الزراعي والاستخدام المنزلي، واداة من ادوات البناء واثاث المنزل التقليدي ومن الناحية العملية فإن كل اجزاء النخيل يمكن الاستفادة منها.

تلقى النخلة اهتمام كبير في الامارات على المستويين الشعبي والرسمي، وهو نوع من الوفاء الذي تميز به ابن الامارات لهذه الشجرة الكريمة، ولعل اهتمام المغفور له الشيخ زايد قد منح قوة دفع كبيرة للاهتمام بهذه الشجرة المباركة، ذات التاريخ العريق، فأصبحت تزرع في كل منزل وشارع ومزرعة، مما أدى الى هذا التكاثر العجيب، فتحولت الامارات الى غابة نخيل كبيرة، وكان الشيخ زايد رحمه الله، يكن لأشجار النخيل عشق خاص، ولذلك يعتبرها "جزء حيوي من اصالتنا، ومن تراثنا، ومن تكويننا الانساني، ففضل النخيل على اجيالنا المتعاقبة لاتحده كلمات، لقد كانت زادهم في كل المواسم، في الصيف والشتاء في الخريف والربيع، لقد اعطت النخلة الكثير لأسلافنا في الماضي ايام الضنك وصعوبة العيش".

كانت مصادر دخل السكان اثناء القرن 19 تنحصر في زراعة النخيل في أماكن محدودة مثل واحات ليوا التي قُدر بها 33000 نخلة، وقرى البريمي والعين، وقدر بها 60000 نخلة، أما منطقة جزيرة صير بني ياس فلقد قدر بها نحو 20000 نخلة، وقدر عددها في رأس الخيمة 25000 نخلة كما توجد زراعة النخيل في قرية الذيد وفلج المعلا.

تحتل النخلة مكانة بارزة في تاريخ الامارات وحضارتها، ويعتز اهلها بها لأنها رمز للشموخ والعطاء المتجدد، واشتهرت الامارات بالعديد من اصناف النخيل؛ وصفوة القول إن النخلة في الامارات تحظى بأهتمام اهل هذا البلد، وتُشكل رافد من روافده الاقتصادية، ولقد أوجز اعرابي فوائد النخلة بقوله" جذعها نماء، وليفها رشاء، وكربها صلاء، وسعفها ضياء، وحملها غذاء".

حدد لوريمر، أماكن بساتين النخيل، في كتابه بمناطق" ساحل عمان المتصالح" (الامارات العربية المتحدة)، وفق مايلي:
أبو ظبي: الزراعة قليلة باستثناء اشجار النخيل (ج2، ص1،6).أما المناطق الاخرى ضمنها فتشمل أبو هيل (ج2، ص309)؛ أذن(ج3، ص281) ؛ (الثروانية، ج 2، ص34)؛ الجريرة (ج 2، ص24)؛ الحفيف (ج2، ص22)؛ الحيرة (ج7، ص2-3) الذيد (ج2، ص48-49)؛ الركسة (ج2، ص31)؛ الرمس (ج5، ص387-388)؛ وسنحاول التوقف عند ابرز مناطق زراعة النخيل .
الشارقة: بها مزارع نخيل متفرقة تنفصل عن المدينة مسافة قصيرة (ج6، ص7)...، معظم المدينة يتكون من اكواخ من سعف النخيل (ج6، ص7-8)... وبالشارقة نفسها سوق يضم نحو 200 حانوت وعدد مساوي لهذا من مخازن السلع تحفظ فيها معظم تجارة المكان كالقمح والأرز والبلح (ج7، ص9)...تشمل مزارع النخيل بالشارقة نحو 3600 نخلة (ج7، ص9) حدودها مع أبو ظبي هي عند مكان يُسمى دبدبة على بعد ميلين من الطرف الشمالي لمزارع نخيل الشارقة.
الطرق: قرية بمنطقة الظفرة، فيها مزارع نخيل واسعة (ج2، ص33-34).
الظفرة: قضاء من " ساحل عمان المتصالح"، يقتصر سكانه على قبيلتين فقط هما: بنو ياس والمناصير...، أما مواطن المناصير فهي لاتصبح آهلة بالسكان الا في الصيف عندما يزدهر محصول النخيل، وفيها تكون بساتين النخيل مشاعة للجميع منهم، يمتلك بني ياس بساتينهم، والموجودون منهم في الظفرة متحضرون الى حد ما، ويتاجر بعضهم مع أبو ظبي ودبي، ولهم مراسلات مع هذه الامكنة. اما مساكن القبيلتين فعبارة عن أكواخ من جريد النخيل وسعفه (ج2، ص 12، 16-17).
الظفير: قرية بمنطقة الظفرة، فيها عدد كبير من اشجار النخيل (ج2، ص20-21).
العد: قرية بمنطقة الظفرة، بها مزارع النخيل فسيحة نوعاُ ما (ج2، ص23).
الفجيرة:يبلغ عدد اشجار النخيل نحو 3000 نخلة... كما أن سكان الفجيرة معظمهم من فرع الحفيتات، ويعيشون على زراعة النخيل(ج2، ص325-326) .
الفلية: قرية جنوب مدينة رأس الخيمة، تبلغ زراعة النخيل بها نحو 3000 نخلة(ج7،ص 77).
أم القيوين: يوجد بها حوالي 1000 منزل ربعها مبني بالطوب الاحمر، والباقي اكواخ مبنية من فروع النخيل...ويبلغ عدد النخيل نحو 1500 نخلة (ج5، ص290-291)؛ ويقال إن بالفلج (فلج آل علي بأم القيوين) 60 أسرة من قبيلة آل علي، الذين يملكون 5000 نخلة تروى بمياه الافلاج، ويملك شيخ أم القيوين هذا النخيل(ج5، ص292) ويحصل على دخل قدره 19000 روبية سنوياُ من الرسوم التي يفرضها على صيد اللؤلؤ والصناعة في إمارته، وبالإضافة الى ذلك فإنه يعمل بنفسه على تجارة اللؤلؤ وتجارة الأرز، خلاف حصيلة التمر من نخيله في افلاج آل علي(ج5، ص293).
بثنة: قرية بوادي حام بالفجيرة، لدى السكان... 4000 نخلة (ج2، ص333).
جرة: قرية بمنطقة الظفرة، فيها نخيل كثير جيد(ج2، ص24).
حقالة:قرية تابعة لمنطقة الذيد بالشارقة، يقال إن لسكانها عدد كبير من اشجار النخيل(ج2، ص52).

حميم: قرية بمنطقة الظفرة، بها نخيل كثير جيد(ج2، ص22).
خت: قري بسهل جرى تؤلف بساتين النخيل واحة كبيرة تحتوي على 20000 نخلة، وتمتلك ثلاثة اخماس النخيل قبيلة الوعاب من رأس الحمراء(ج3، ص282).
خليبية: قرية بوادي حام بالفجيرة، يقال إن بها 2000 من اشجار النخيل(ج2، ص334).
خنور: قرية بمنطقة الظفرة، بها مزارع نخيل فسيحة تمتد الى ليوا، وتحتوى طبقاً لأحدى الروايات على 14000 نخلة (ج2، ص25).
خور الخوير:على الساحل الغربي لرأس جبل عمان بإمارة رأس الخيمة، عدد اشجار النخيل بها 2000 نخلة (ج3، ص377).
خور فكان: قرية يوحد بها مزارع للنخيل تحوي حوالي 5000 نخلة (ج2، ص177).
دبا: منطقة تابعة لرأس الخيمة، توجد مزارع نخيل واسعة جنوبها، بها 10000 شجرة نخيل (ج2، ص78).
دبي:لايوجد في مشيخة دبي أماكن مأهولة بعد مدينة دبي وقرية حجرين سوى قرية جميرة التي تبعد عن الساحل 3 اميال الى الجنوب الغربي من مدينة دبي، وهي تتالف من 15 كوخ مبنية من سعف النخيل، ويقطنها بني ياس والمناصير وقبائل أخرى(ج2، ص78-79).
تتألف مدينة دبي من 3 احياء، اهمها ديرة الذي يقع على لسان ارضي ارتفاعه 20قدم على الطرف الشرقي للخور بينه وبين البحر، وبها مزرعة نخيل تقع خلفها على امتداد ميل واحد(ج2، ص80)... وفي دبي 4000 نخلة، ولكن محصولها ضئيل(ج2،ص81)، أما الواردات فهي التمور من البصرة وميناب والباطنة (ج2، ص82).
رأس الخيمة: يبلغ عدد منازل رأس الخيمة 1000 منزل نصفها مبني من الحجر والجص، والباقي اكواخ من سعف النخيل... كما يعيش في المدينة 10 اسر من البلوش القادمين من منطقة بشاكرد في فارس، ويعملون بمزارع النخيل في صير(ج3، ص381-382)...وعدد اشجار النخيل التي يمتلكها السكان حوالي 15600 نخلة (ج3، ص383).
رول ضدنه ورول ديبا: قريتان تابعتان لإمارة الشارقة، تملكان حوالي 2500 نخلة (ج6، ص222).
زباره: قرية شمال خور فكان، لديهم حوالي ...2000 نخلة (ج6، ص223).
سيجي: قرية بوادي حام بالفجيرة، لدى السكان ...2000 من اشجار النخيل (ج2، ص335).
شرم: قرية جنوب خور فكان، بها حوالي 2000 نخلة (ج6، ص223).
شربة: قرية شمال غربي دبا،في وادي حجيل، برأس الخيمة، عدد اشجار النخيل بها نحو 2000 نخلة (ج2، ص 378).
صفد: قرية شمال الفجيرة، يقال إن بها 3000 نخلة (ج6، ص223).
صفني: قرية بوادي حام بالفجيرة، عدد اشجار النخيل بها 3000 نخلة (ج2، ص334).
طيبة: قرية بوادي حام بالفجيرة، يقال إن عدد اشجار النخيل بها 3000 نخلة (ج2، ص335).
عجمان: يبلغ عدد النخيل بها نحو 1900 نخلة، ولايوجد فيها أي مزروعات اخرى(ج1، ص81-82).
عسمة: قرية بوادي حام بالفجيرة، لدى السكان ... 4500 نخلة (ج2، ص332).

غرفة: قرية جنوب دبا مباشرةً، بها ... 6000 نخلة (ج6، ص219).
غريفة:قرية على الساحل جنباً الى جنب مع الفجيرة، يعيش الناس على الصيد وزراعة النخيل ...ولديهم حوالي 3000 نخلة (ج6، ص219).
غالة: قرية تقع على بعد 4 اميال في منتصف الطريق بين خور كلبا والفجيرة، وبها 300 منزل معظمها اكواخ من سعف النخيل ، والمزروعات الهامة بها هي النخيل ويعيش السكان من الصيد وزراعة النخيل والحبوب والسمك المجفف، ويملكون نحو 2500 نخلة (ج2، ص269-270).
غليلة: قرية تابعة لإمارة رأس الخيمة، عدد اشجار النخيل بها 4000 نخلة (ج 3، ص 269-270).
فحلين: قرية على ساحل منطقة رأس الخيمة، بها 60 منزل للنقيبيين الذين يملكون 2000 نخلة (ج7، ص 78).
قدفع: قرية ساحلية بالفجيرة، بها حوالي 7000 نخلة (ج6، ص 221-222).
قرية: قرية ساحلية بمنطقة الفجيرة، بها حوالي 8000 نخلة (ج6، ص 221).
لولية:قرية شمال خور فكان، بها حوالي 2000 نخلة (ج6، ص 220-221).
مارية: قرية بمنطقة الظفرة،يزرع فيها النخيل على نطاق واسع (ج2، ص26).
مربح:قرية ساحلية بالفجيرة، يبلغ عدد النخيل بها 6000 نخلة (ج6، ص221).
مزيرعة: قرية بمنطقة الظفرة، بها اكبر مزارع اشجار النخيل الموجودة في ليوا (ج2، ص28).
مسافي، قرية بوادي حام بالفجيرة، ويقدر عدد اشجار النخيل فيها بحوالي 5000 نخلة (ج2، ص334).
هبهب: قرية بسهل جري بها عدد اشجار النخيل 3500 شجرة نخيل (ج3، ص281-282).
كذلك اشار لوريمر الى القبائل وتفاصيل ملكيتها لبساتين النخيل مقدراًً ايها ومحدداًً موقعها، وهي:
آل بو فلاح: فرع من قبيلة بني ياس، يعمل الباقون منهم في ليوا في مزارع النخيل التابعة لهم، والتي تقدر بنحو 4000 نخلة (ج7، ص239).
آل مُرة: يقال انهم يرتادون صحراء الجافورة وهم يرتدون نعال سميكة مصنوعة من وبر الجمال، وهم لايتناولون من الشراب في الصحراء سوى البان جمالهم. ويطبخون الارز باللبن، وإذا اضطروا لشرب الماء من الآبار فإنهم يخلطونه بالتمر(ج3، ص 201-203).
آل سلطان: فرع من قبيلة بني ياس يملكون 3000 نخلة (ج7، ص 241).
العجمان: معظم تجارتهم مع الإحساء حيث يبيعون مالديهم بما فيها الجياد، ويشترون احتياجاتهم، ويحصلون على جزء من التمر من القطيف، ولبعض العجمان مزارع نخيل في الإحساء ولكن ليس لهم شيء في القطيف (ج1، ص83-84).
آل فلاح: فرع من قبيلة بني ياس، يملك هذا الفرع 2000 نخلة (ج7، ص 239).
القصل: فرع من قبيلة بني ياس، لديهم 800 نخلة (ج7، ص 241).
المحاربة: فرع من قبيلة بني ياس، لهم 600 نخلة (ج7، ص 240).
المزاريع: فرع من قبيلة بني ياس، لهم 8000 نخلة (ج7، ص 240).

المناصير: قبيلة بدوية من ساحل عمان المتصالح مقرها في الظفرة، الموجودين منهم في الخان والجميرة من البدو الرحل، فإن معظمهم يقضون الشتاء في قطر أو بجوارها، ويقضون الصيف في ليوا، حيث توجد لديهم قرى مؤقتة من الأكواخ، وبها نخيل يعتبر ملكية مشتركة للقبيلة (ج4، ص 208) .

القبيسات: فرع من قبيلة بني ياس، يملك الموجودون منهم في ليوا حوالي 10000 نخلة (ج7، ص 241).

بني شكر: فرع من قبيلة بني ياس يملكون 4000 نخلة(ج7، ص 241).

زعاب: يملك بعض الزعابيين من سكان جزيرة الحمراء مزارع نخيل في قرية الخت (ج7، ص 240).

قنيصات: فرع من قبيلة بني ياس، يملك3000 نخلة (ج7، ص 240).

أما انتاج وتجارة التمور في الامارات، فقد كانت زراعة النخيل ناجحة في معظم الأماكن ولكنه يؤكل(بسرَا) غير كامل النضج في الجانب الغربي جنوبي رأس الخيمة، ويُزرع البرسيم في بعض الاماكن بين بساتين النخيل (ج5، ص233).

إذا استثنينا رأس الخيمة وواحة البريمي التي لاتكاد تعتبر من هذا الجزء، فإن انتاج التمور قليل،كما انه لايتم نضج التمور على طول الساحل لعدم وفرة المياه فيؤكل كما هو (بسراَ) . أما في رأس الخيمة فيوجد 42 نوع من التمر، وفي " الخط" وهي نفس المنطقة، وفي أم القيوين 22 نوع، وكذلك في دبي.

من اجود انواع التمور في هذه المنطقة، النوع المعروف باسم اللؤلؤ والخنيزي والقش ربيع، بينما اكثر الانواع وفرة هو بو الغدوج وقش حبش وقش عفر؛ هذا ويوجد في البريمي نحو 6000 نخلة في المبسلي والفرد والخلاص، ولكنها ليست في مستوى مثيلتها بالمنطقة الشرقية ووادي سمائل في سلطنة عمان (ت6، ص 3296).

أما تجارة التمور فهي قليلة يمكن أن تلبي الحاجة المحلية، للسكان الذين يعملون بصيد اللؤلؤ، وفي خلال السنوات 1899-1900 وسنة 1904-1905 كانت التمور وعصيرها تستورد بمبلغ معدله السنوي يزيد عن 20000 جنيه استرليني من الموانيء الايرانية ومن العراق(ت6، ص 3297)؛ وتستورد "إمارات ساحل عمان المتصالحة" البلح وعصير البلح معظمه من العراق العثماني، وقيمته 3 لكات (ألف ألف) (ج5، ص234).

في حين يختتم لوريمر الفصل الخاص بنخيل الامارات بالإشارة الى جملة من الحوادث التاريخية المحلية والخارجية المرتبطة بالنخيل، سواء بتقاسم التركة بين الورثة لبعض القضايا المعروضة، أو الاخرى ذات البعد الخارجي، وبالإمكان اخذها كنموذج للعرف المتبع في تلك المرحلة من تاريخ الامارات العربية المتحدة.